

هل أطاحت الصين بقاسم سليمان؟



أن تحول البلد إلى دولة وإنهاء عصر الثورة سيحدث تحولات اجتماعية سياسية ثقافية كبرى تطيح بلزومية ولاية الفقيه وبنائها في نظام البلد. لم يتغير شيء في أداء طهران، ولم يتغير شيء في خطابها ولم يتغير شيء في مغامرتها في التعويل على إمبراطورية خارج الحدود كان قاسم سليمان مهندسها ورأسم خرائطها. ضربت "الدولة العميقة" على خضبة الستاتيكي القديم. نفذ دونالد ترامب مُحزماً فازح من إيران واجهة كبرى، وربما الواجهة الأولى لإيران الثورة. في تغريدة محمد جواد ظريف بعد الرد الإيراني ضد قواعد عين الأسد وأربيل الأميركية في العراق منطلق إيران الدولة الذي يفيد بأن الرسالة وصلت. في هذا الوقت ما زال المرشد ينفخ من موقعه السامي رياح ثورة مترنحة.

أي معاندة داخلية لهذا النظام. لا تريد الولايات المتحدة القضاء على نظام إيران على منوال ما فعلت أو ساعدت ضد أنظمة مثل العراق وأفغانستان وليبيا ويوغوسلافيا.. إلخ، ولا تريد العمل على فرض نظام موال على أنقاض نظام معاد، بل تريد من هذا النظام بالذات أن يكون متممضعا وفق حالة جديدة تتعامل بلغة مصالح الدولة وليس فوضى الثورة. كانت اتفاقية أوباما النووية تحضّر إيران لولوج مرحلة تطبيع مع العالم وفق شروط الراهن التي تجاوزت ظروف إنشاء روح الله الخميني لجمهوريته. اصطفت شركات العالم على أبواب هذا السوق الواعد في إيران، أملا في أن تغلق طهران صفحة وتفتح أخرى تجعل من الوصل بين واشنطن وطهران مصلحة إيرانية. لكن ذلك لم يحصل. لم يطلب ترامب إلا اتفاقا جديدا مع إيران. أوجت مطالب بومبيو الـ12 الشهرية ما هو المطلوب من إيران. طهران قرأت هذه المطالب جيدا، وأدركت

لم تدعم واشنطن أي فصائل مسلحة ما برحت تقاتل ضد نظام طهران منذ عقود. ولم تتدخل يوما في صراع الأجنحة السياسية الداخلية في إيران لصالح هذا وضد ذلك. ولطالما كان موقفها محبضا مخزيا حيال الانتفاضات الشعبية التي شهدتها المدن الإيرانية بحيث كاد يكون غائبا أثناء "الثورة الخضراء" عام 2009 التي خرجت احتجاجا على تزوير مزعوم أعاد انتخاب محمود אחمدي نجاد رئيسا للجمهورية. ولم تعلق كثيرا على انتفاضة المدن الإيرانية الصاخبة بين عامي 2017 - 2018 والتي أجمع ساسة إيران، المحافظون والمعتدلون الإصلاحيون، على وصفها بالغوغاء، ولم تعلق إلا بالحد الأدنى الداعي إلى احترام حقوق الإنسان في الموقف الذي اتخذ، وعلى لسان وزير الخارجية مايك بومبيو خصوصا، في مواكبة الانتفاضة الأخيرة في البلاد. لا تريد واشنطن إسقاط النظام، ولا تريد أن تدعم أو تساعد أو تعظم شأن

جحافلها، بل إن وكالة المخابرات الأميركية تدبّرت الأمر داخليا وأعدت الشاه من مفناه. وعليه لا يجوز اللعب في مصير دولة محورية في المنطقة. تخدم في النهاية مصالح هذا الغرب، وإن كان خطابها العقائدي يبدو معاديا، لكنه بالنهاية لا يشكل خطرا وجوديا كذلك الذي كانت تشكله الإمبراطورية الشبوعية منذ صعودها وحتى زوالها الميمون.

باتت إيران ركنًا من أركان المناورات المشتركة مع الصين وروسيا تارة في المحيط الهندي، وتارة في بحر عمان. ذهب العراق الخاضع لنفوذ إيران لتوقيع اتفاقيات اقتصادية مع الصين بقيمة 400 مليار دولار وافتتح حدود البلاد مع سوريا عبر بوابة القائم - البوكمال، بما يتيح لإيران فتح ممرها الاستراتيجي الشهير بين طهران وبيروت. بدا أن للتمدد الإيراني رواثع صينية كريمة.

قد يكون من المخاطرة القول إن قرار ترامب بتفخيخ الاتفاق النووي من خلال انسحاب الولايات المتحدة، والذهاب بعد ذلك إلى فرض "عقوبات تاريخية" على طهران، وفق تعبير ترامب نفسه، لا يهدف إلا إلى استعادة إيران إلى الحضن الأمريكي، كما كان أمر ذلك في عهد الشاه قبل الثورة الإيرانية. أرفق ترامب تهديداته دوما برسالة كرها، بضجر، أن بلاده لا تريد إسقاط النظام في إيران. لم يكن ترامب يكذب ولم تكن الولايات المتحدة ودولتها العميقة تريد ذلك. فالهدف بالنهاية هو سوق هذا النظام بالذات داخل تحالف تبنيه واشنطن في العالم بوقف المد الصيني الذي يتسرّب عبر طريق الحرير ليضفي يوما على زعامة الولايات المتحدة في العالم.

جحافلها، بل إن وكالة المخابرات الأميركية تدبّرت الأمر داخليا وأعدت الشاه من مفناه. وعليه لا يجوز اللعب في مصير دولة محورية في المنطقة. تخدم في النهاية مصالح هذا الغرب، وإن كان خطابها العقائدي يبدو معاديا، لكنه بالنهاية لا يشكل خطرا وجوديا كذلك الذي كانت تشكله الإمبراطورية الشبوعية منذ صعودها وحتى زوالها الميمون.

باتت إيران ركنًا من أركان المناورات المشتركة مع الصين وروسيا تارة في المحيط الهندي، وتارة في بحر عمان. ذهب العراق الخاضع لنفوذ إيران لتوقيع اتفاقيات اقتصادية مع الصين بقيمة 400 مليار دولار وافتتح حدود البلاد مع سوريا عبر بوابة القائم - البوكمال، بما يتيح لإيران فتح ممرها الاستراتيجي الشهير بين طهران وبيروت. بدا أن للتمدد الإيراني رواثع صينية كريمة.

كانت إيران الثورة عونًا في الحرب التي شنت ضد الاحتلال السوفيياتي في أفغانستان، وعونًا في حرب الولايات المتحدة ضد نظام طالبان هناك، وعونًا في القضاء على نظام صدام حسين في العراق. موضوعيا، وقفت طهران في خندق واحد مع واشنطن في جهودها وحروبها في تلك المنطقة، على الرغم من أن شعار "الموت للأميركا" لم يسقط يوما، وعلى الرغم من أن "الشيطان الأكبر" في واشنطن كان يُدعى إيران داخل "محور الشر" الشهير. وقد يطول الحديث عن تقاطع في المصالح وتبادل منافع حيث لم يتوقف يوما بواجهات تعددت أشكالها وهوياتها، كان آخرها التحالف شبه المعلن، وبرعاية الجنرال قاسم سليمان نفسه، لمحاربة تنظيم داعش، لاسيما في العراق وسوريا. لم تخرج إيران يوما عن خطوط الممكن والمتاح داخل خريطة مصالح



تدخل المنطقة في طور جديد سيعيد رسم الخرائط السياسية التي قلما اهتزت منذ قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. تغير الشرق الأوسط لاسيما منذ اندلاع "الربيع العربي". تغيرت مصر وتونس وليبيا وسوريا، وتغير اليمن والسودان، وتغير لبنان والجزائر. لا يهم ما هو التقويم الإيجابي أو السلبي لهذا التغيير أو ذلك، إلا أن الثابت أن العالم كله يتغير، فيما لم يطرأ على النظام في طهران أي تغيير يُذكر منذ الإطاحة بشاه البلاد عام 1979.

تغيرت الولايات المتحدة منذ اعتلاء دونالد ترامب "عرش" بلاده. تغيرت قبل ذلك بانتخاب باراك أوباما لولايتين رئاسيتين، بيد أن ترجل ترامب على رأس السلطة في البيت الأبيض، جاء متوجًا لتحولات جرت داخل "الدولة العميقة" في الولايات المتحدة على النحو الذي ظهر في استحقاقات وملفات لاحقة. قطع ترامب "قدسية" التحالف الغربي، وأيقظ داخله شباطين التناقضات التي كانت نائمة كرمي لعين الصراع البائد مع الاتحاد السوفيياتي. اندثرت الحرب الباردة منذ عقود، وبات مشروعا أن يكسر رئيس الولايات المتحدة عن أنياب غليظة ضد أوروبا وكندا والمكسيك والحق الأطلسي، كما تكسر الولايات المتحدة عادة ضد خصوم مثل الصين وروسيا وكوريا الشمالية.

تساختت الإدارات الأميركية على المدى العقود الأربعة الأخيرة مع "ظاهرة" جمهورية الولي الفقيه. قيل إن قواعد الحرب الباردة رُوّجت لاقوم زعيم "ديني" يحكم إيران بديلا لشاهها الضعيف، فيقف سدا منيعا ضد دولة "الإحادي" في الاتحاد السوفيياتي. قيل أيضا إن إيران دولة كبرى يصحّ تدجينها والحد من أخطارها، ولا يصحّ خوض حرب ساحقة ضد نظامها. حين حكم محمد مصدق البلاد بدعم الشعب الإيراني عام 1953، لم ترسل واشنطن

خطأ غورباتشوف الذي لم يرتكبه بوتين

السوفيياتي السابقة، عاد بوتين بقوة للاهتمام بتلك الدول وعمل على تقوية منظمة معاهدة الأمن الجماعي، وتشكيل اتحاد جمركي ضم تلك الدول بمسمى الاتحاد الأوراسي. لم يقطع بوتين كما فعل أسلافه مع حقبة الاتحاد السوفيياتي، تلك الحقبة التي استمطعت، رغم الحرب الباردة، أن تسوق الفقر تحت مسمى الاشتراكية، وتطور قدرات عسكرية أثارت الإعجاب، وذلك رغم الاقتصاد الضعيف الذي راهن على انهياره الجميع. اليوم تجاوزت طموحات بوتين إقليمه الضيق، ولم تعد مقتصرة على دول الجوار، فهو صاحب رؤية إستراتيجية قادرة على أن تصل به إلى حدود بعيدة، بغض النظر عن مستوى روسيا الاقتصادي.

في ذلك الطفرة الاقتصادية التي شهدتها العقد الأول من القرن الحالي. وهذا ما شجعه على زيادة الإنفاق العسكري، وبدأ فترة رئاسته عام 2012 بمجموعة مراسيم اقتصادية، سميت "مراسيم مايو"، تبنت رفع الإنتاجية وزيادة الأجور، وركز على قطاعات اقتصادية

سبتمبر 2001، حيث اكتفى باعتراض شفهني حجول على غزو الولايات المتحدة للعراق عام 2003، ولم يستخدم حق النقض الفيتو في مجلس الأمن. فضل بوتين الانقلاب على تحديث ترسانة روسيا من الأسلحة التقليدية التي ورثها عن الحقبة السوفيياتية، والاهتمام بالمصالح الإستراتيجية، فقام بتشكيل قيادة عمليات في البحر المتوسط، وإنشاء قواعد عسكرية في منطقة القطب الشمالي. وترابط اليوم سفن تابعة للإسطول الروسي في منطقة البحر المتوسط، وتنتشر قوات الدفاع الفضائي الروسي في أرخبيل "نوفابا زيمليا"، وعلى طول ممر الشمال البحري. إلى جانب ذلك اهتم بوتين بتعزيز الدفاعات الصاروخية، خاصة القادرة على حمل رؤوس نووية. وبعد أن انشغلت روسيا بمتاعها الاقتصادية عن جمهوريات الاتحاد

كان الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما واحدا من أوائل الزعماء في الغرب الذين نبهوا، ولو ضمينا، إلى طموحات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حين أشار في الخامس من أبريل عام 2016، إلى ذلك قائلا "نحن نقوم بالاستثمار الضروي لقرارتنا العسكرية، لردع العدوان والدفاع عن أمننا وأمن حلفائنا. وهذا يشمل توسيع خططنا في أوروبا، لدعم حلفائنا في حلف شمال الأطلسي في ضوء الإجراءات العدوانية التي تقوم بها روسيا". وكان أوباما يشير إلى الاستثمارات الروسية الكبيرة في القوات المسلحة، خاصة إنشاء قوات برية جديدة، وصواريخ بعيدة المدى تميزت بدقة التوجيه وإصابة الهدف. ومنحت سوريا بوتين فرصة لإظهار القوة، خاصة الجوية والصاروخية، فلم يتردد في استخدامها.



بعد يومين من ملاحظة الرئيس أوباما، كتبت صحيفة الفاينانشال تايمز، مقالا تحليليا حول طموحات بوتين لإعادة تشكيل النظام العالمي، مشيرة إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن التفوق الروسي العسكري لم يحد منه الأداء الاقتصادي، الذي وصفته بالضعيف جدا.

عندما جاء بوتين إلى السلطة عام 2000، كانت روسيا في وضع مأساوي، بعد انهيار الاتحاد السوفيياتي، فلم يسع إلى مناقشة خصوم موسكو التقليديين، وعلى رأسهم الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين. بل ركز اهتمامه على إحياء الصناعات العسكرية وتطويرها. اتسمت سياسة بوتين في تلك المرحلة بالمهانة، وأفضل دليل على هذا التوجه هو فتحه الأراضي الروسية أمام القوات الأميركية للدخول إلى أفغانستان، إثر أحداث 11 من



العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العقبوي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

محددة، ووضع هدفاً لتطبيقها عام 2018، نهاية فترته الانتخابية. ولكن بعد عام واحد، بدأت النتائج السيئة بالظهور، فأعيد طرح خطط اقتصادية، لكن، هذه المرة، من الوزارات المختصة، وليس بطريقة مراسيم بوتين الرئاسية.

لم ينقطع الغرب خلال ذلك عن مراقبة بوتين بقلق نسبي، مفضلا تجنب أي مواجهات عسكرية مع روسيا، والاكتفاء بسياسة استنزافه من خلال فرض عقوبات اقتصادية. وتعتقد الولايات المتحدة أن تلك السياسة كفيلة، إلى جانب أزمة أوكرانيا والتورط في سوريا، بالإطاحة ببوتين وإجباره على التخلي عن طموحاته التوسعية.

قد تضطر الولايات المتحدة إلى الانتظار طويلا، قبل أن ترى نهاية حلم بوتين، بل قد لا تراه على الإطلاق، خاصة في ظل التطورات الأخيرة.

تجنب بوتين الخطأ القاتل الذي وقع فيه ميخائيل غورباتشوف. لم يكن خطأ غورباتشوف تبني سياسة إعادة البناء (البريسترويكا)، ولم يكن خطأه أيضا إنهاء الحرب الباردة وتفكيك الاتحاد السوفيياتي في الـ26 من ديسمبر 1991. الخطأ بدأ عام 1984.

في ذلك العام زار غورباتشوف لندن، بصفته عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي، واستقبلته مارغريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا حينها، التي تبنيت له بمستقبل واعد، وقالت عنه أمام الصحافيين، إنه رجل "يمكن التعامل معه". وكان لهذه العبارة وقع كبير.

بعد هذا الإطراء البريطاني، دخل غورباتشوف الكرملين، عام 1985، وأصبح اسمه حديث العالم السياسي والمجتمع المحلي، وتناقلت صالونات الأزياء أخبار زوجته "رايسا" وتحدثت عن جمال ملابسها وجاذبيتها.

الخطأ الذي تجنبه بوتين، ووقع غورباتشوف فيه، هو الوقوع بسحر الغرب، والإشاحة بوجهه عن باقي العالم. بوتين على العكس تماما، تعامل مع الغرب معاملة الند، ولم يخجل من إرث الحقبة السوفيياتية.